أنور العطّار.. شاعر الجَمَال والطبيعة

بقلم: هاني أنور العطّار
الرياض

حياة الشاعر "أنور العطار" لم تكن طويلة قياسًا لما ترك لنا من إرث أدبي هائل، ولد الشاعر "أنور العطّار" عام 1913م بمدينة بعلبك من أبوين دمشقيين، وتوفي عن تسع وخمسين عامًا، في صباح يوم الأحد الموافق لـ 23 تموز/ يوليو عام 1972م في مستشفى المواساة، ودفن في مقبرة الدحداح بدمشق، أي أنه عاش فقط تسعًا وخمسين سنة فقط ، وهو زمن قصير في عمر العبقرية ولا شك.

تلقى دراسته الابتدائية وأكملها في مدرسة البحصة في دمشق، ثم انتقل إلى "مكتب عنبر" لإكمال دراسته الثانوية، وبعد ذلك انتسب إلى دار المعلمين حيث نال شهادة أهلية التعليم الثانوي التي أهلته للعمل مديرًا لمدرسة "منين" الابتدائية في ريف دمشق.

أتمّ دراسته في دمشق وتخرج من كلية الآداب من قسم اللغة العربية في الجامعة السورية، وكانت شهادته هذه خامس شهادة تعطى من كلية الآداب بدمشق عام 1935م.

زاول التدريس في مدارس حلب و دمشق ثمّ انتدب لتدريس اللغة العربية في العراق لمدة خمس سنوات، وعاد الى دمشق حيث زاول التدريس والإدارة، ثمّ عمل مفتشًا أولاً لمادة اللغة العربية في سورية.

سافر إلى المملكة العربية السعودية حيث درّس الأدب العربي في كلية اللغة العربية في جامعة الرياض، ما بين الأعوام 1964، 1965، 1966م.

أحبّ الشاعر أنور العطار جمال الطبيعة وغنّاها أعذب الشعر، واهتم في الفكرة والكلمة معًا، وهو بحتري الأسلوب، وقد أحبَّ اثنين من الأدباء المعاصرين له رأى في نثريهما صورًا حيّة من الشاعرية فنهج نهجيهما – وهما "معروف الأرناؤوط " صاحب جريدة "فتى العرب"، وجريدة "سيد قريش"، و" أحمد حسن الزيّات" صاحب مجلة "الرسالة" المصرية التي كانت المجلة الأدبية الذائعة الصيت، والواسعة الانتشار في العالم العربي في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، كما أنه أحب وحفظ الكثير من شعر أمير الشعراء "أحمد شوقي"، وتعقب نشر أشعاره في الصحف والمجلات حتى إنه أستطاع إحصاءها ومعرفة

ما لم يطبع منها آنذاك، وهيئ مخطوطًا لها للطباعة سماه" الشوقيات التي لم تنشرها الشوقيات".

تأثر بالأدب الفرنسي وأحب "لامارتين Lamartine Alphonse de و"ألفرد دو موسّه Musset–Pathay de Louis Charles Alfred، وترجم نظمًا كثيرًا من أشعارهما.

مجّد البطولة العربية وأنشد لها قصائد رائعة بالحماسة منها: فلسطين، ثورة مصر، ثورة الجزائر، النازح العربي وغيرها كثير.

أصدر في عام 1948م ديوانه الشعري الأول، الذي أسماه "ظلال الأيّام" وقد ضمّنه قصائد رائعة في الوصف والتأمل والمناجاة والبطولات.

وللشاعر "أنور العطّار" الكثير من الدواوين الشعرية والدراسات الأدبية المخطوطة، التي هي قيد التجهيز للطباعة بإذن الله منها: "البواكير" و"وادي الأحلام" و"الشاعر" و"الليل المسحور" و"ربيع بلا أحبة" و"منعطف النهر" و "مع قصائد الخالدين" و"ألف بيت وبيت" وديوان "ألف بيت و بيت" لم يكمله، وقد كانت فكرته مبنية على أساس قدرته في انتقاء أجمل بيت شعر من قصيدة ما من قصائد أحد فحول الشعراء المختارين من قبله، ومن بيت الشعر المنتقى هذا يدخل إلى شرح القصيدة ومعارضتها وذكر شاعرها وعصره إلى آخره.

وديوان "علمتني الحياة"، وهو من أواخر ما نظم الشاعر "أنور العطّار" من الدواوين الشعرية، وهو عبارة عن خلاصة تجربته في رحلة حياته، حيث ضمنه رؤيته وفهمه وفلسفته للكثير من الجوانب العقائدية والوطنية والأخلاقية والجمالية التي صاغها جميعها بحلة بهية من شاعريته المرهفة وإبداعه اللغوي العالي، وقد كتبها على شكل رباعيات كرباعيات "عمر الخيّام" المشهورة من الإرث الأدبي الفارسي، حيث تنتظم كل رباعية منها فكرة واحدة يبتدئها بالشطر الأول من كل رباعية بـ: علمتني الحياة أنّ حياتي ... ولو شاء القدر في أن تطول حياة الشاعر أنور أكثر من مشيئة الله له، لكان هذا الديوان أكثر تنوعًا، وكثافة، وإغناءً ... وأود أن أذكر للقارئ إحدى الرباعيات الشعرية التي تتضمنها مخطوطة ديوان "علمتني الحياة" ، والتي يصف الشاعر أنور فيها كبير عمق حبه لأرضه وافتتانه ببلاده وهي:

علمتني الحياة أنّ حياتي ملكُ
أرضي عزّتْ على الدهرِ أرضي
من ينابيعها تعلمتُ قرضي
من شَحاريرها تلقيتُ شدوي
فجرتني هوى فبُعْضي حُبٌّ
يا لحب ما إن يلمُّ ببغض
هي نجواي إن جنحتُ لصحوٍ
و الخيالاتُ إنْ جنحتُ لغمض

ومن نثر أنور العطّار: كتاب "الوصف والتذويق عند البحتري" و "أسرة الغزل في العصر الأموي" وله دراسة كاملة لنثر أمير الشعراء أحمد شوقي ولكتابه "أسواق الذهب"، وكتاب "الشوقيات التي لم تنشرها الشوقيات".

ومن بواكير مسرحياته الشعرية المخطوطة: مسرحية آخر ملوك العرب في الأندلس "أبو عبد الله الصغير" سنة 1930م، ومسرحية "مصرع أبي فراس الحمداني" سنة 1961م، وقد تعرض للحديث عنهما الأستاذ "عدنان بن ذريل" في كتابه "الأدب المسرحي في سورية".

وله أيضًا دراسة عن الشاعر الباكستاني "محمد إقبال"، ودراسة عن شاعر الهند العظيم "طاغور".

ترجمت بعض قصائد الشاعر أنور العطّار إلى الإنكليزية في كتاب (الشعر العربي الحديث – أزهار الشعر) للمستشرق الإنكليزي وأستاذ الأدب العربي في جامعة كامبريدج "آرثر. ج. آربري Arthur J.Arberry"

وترجمت أشعاره أيضًا إلى الفرنسية في كتاب (مختارات من الأدب العربي المعاصر) لأستاذ العربية في جامعة السوربون في فرنسا المستشرق "إدوارد تاراباي Edouard Tarabay" و"لوك نورين "Luc Norin.

وله من الكتب المدرسية: كتاب "الزاد" في الأدب العربي، وقد صحح و نقح لغويًّا قصصًا مترجمة للعربية من المقررات المدرسية منها قصة "جودي والطفل".

وبالاشتراك مع الأستاذ "نسيب سعيد" ألفا كتاب "الخلاصة في الأدب والنصوص"، وهو تغطية أدبية ملخصة من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث مناسبة للتلامذة وهم على مقاعد الدرس.

وقد ضُمن اسم "أنور العطار" في الموسوعة التوثيقية للشخصيات العربية في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض في المملكة العربية السعودية، تكريمًا لتلك الشخصيات التي عملت وشاركت في بدايات النهضة

صورة تجمع الشاعر أنور العطار (يمين) مع الشاعر ميخائيل نعيمة في ستينيات القرن الماضي بدمشق

صورة تجمع الشاعر أنور العطار (يمين) مع الشاعر القروي سليم رشيد الخوري في ستينيات القرن الماضي بدمشق

الثقافية والحضارية في المملكة.

ترك الشاعر أنور بعد وفاته في مكتبته الخاصة في داره في دمشق، المئات والمئات مما جمع وما أُهدي إليه من أعلام الفكر والأدب المعاصرين له في حياته من كتب ومخطوطات ودواوين من عيون الأدب العربي والأدب العالمي وعلى الأخص الأدب الفرنسي، بالإضافة للكثير والكثير من الدراسات والمراجع الأدبية والتفاسير وكتب الفقه الديني، مع الكثير من الأوسمة وكتب التقدير لشعره وأدبه.

كتب وحاضر وترجم عن الشاعر أنور العطَّار الكثير من الأدباء و الشعراء والباحثين والإعلاميين، وكانت سيرة وأدب أنور العطَّار موضوعًا لأطروحات لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي في عديد من الدول العربية، كما كانت دومًا أشعاره في المقررات المدرسية في سورية، وبعضًا من الدول العربية الأخرى.

وديوان الرباعيات هذا ما هو إلا دوحة باسقة الأشجار، ريَّانة الأغصان، ندية الأزهار، تمثلت في رباعيَّات شعرية رائعة السبك عميقة المعنى، اختزل بها الشاعر المبدع أنور العطَّار في أسلوبه الشيِّق الأخاذ الذي كان فيها نسيج وحده أفكاره ومشاعره وفهمه و فلسفته للحياة، فخرجت توثيقاً لتجاربه في الحياة، وسجلاً لمخالطته الأحياء ... لذا صدر جميع هذه الرباعيات بقوله: "علمتني الحياة" أو "علمتني" ، فضلاً عن أن الديوان بحد ذاته يحمل هذا العنوان و من ثمَّ كان الشعر لدى الشاعر خير معبر عن تجاربه وخير ناقل لها وخير أمين على مكنوناتها : ظناً وحدسًا، شكاية وأنسًا، سرًا وعلنًا، كل ذلك نراه مجسدًا في هذه الرباعية السينية من رباعياته الشائقة يقول:

علمتني الحياة أنَّ من الشـــ
ـعر لساناً يعي أحاديث نفسي
مفصح عن تجاربي ترجمان
صادق في أداء ظني و حدسي
إن تشكيت كان باب شكاتي
أو تسليت كان مفتاح أنسي
لم أحاول إخفاء نفسي عنه
فهو سري الذي أصون و همسي

ولقد اختار الشاعر أنور العطَّار لكلٍّ رباعية عنوانها وموضوعها المتفرد والمميَّز فجاءت كلٌّ واحدة منها ماتعة القراءة، متشحة بجمال الكلمة وانتقائية العبارة، متضمنة عمق الحكمة ، و مغلفة بثراء المعرفة ...

وقدمها مغلفة بحلة بهية من صنعته الشعرية الحاذقة، وملكته الأدبية الأخاذة، فكشفت عن تملك الشاعر لناصية القريض و لملكته الشعرية المرهفة ...

ولنستمع له هنا في هذه الرباعية التي تعكس مقدارَ كبير حبه لأرضه ولتملكها لجميع مشاعره وعواطفه ومن كون ينابيعها وشحاريرها هم الذين من علموه الشدو والشعر، وكيف أنها قلبت مشاعر البغض عنده إلى مشاعر الحب، و كيف أنها هي التي يناجيها في نهاراته و يراها في لياليه و أحلامه يقول في رباعيته :

أرضي الطيبة

علمتني الحياةُ أنَّ حياتي
ملك أرضي ،عززتْ على الدهر أرضي
من ينابيعها تلقيتُ شـدوي
من شـحاريرها تعلمتُ قرضي
فجرتني هوى فبُغضي حبُّ
يا لحُبٍّ ما إن يُلِمُّ ببُغضِ
هي نجوايَ إن جنحتُ لصحوٍ
و الخيالاتُ إن جنحتُ لغَمضِ

و عن الأيام يقول :

الأيّام

علمتني لحياةُ أنَّ من الأيَّـ
ـامِ ما يُسعدُ النفوسَ ويرضي
و يصبُّ النعيمَ صَبًّا ، و منها
ما يثيرُ الأسى ويُضني ويُضوي
كُلما مرتِ الليالي عجالاً
خِلتُ أني أمُرُّ وحدي وأمضي
آذنتنا بينها مُتعُ العيـ
ـش وهمّت أحلامُها بالتقضي

أما حنينه لديار فنراه مجسدًا في هذه الرباعية التالية :

الحنين إلى الدار

علمتني أنّ الحنينَ الـدَّا
ارِ غرامٌ مُأججٌ في ضُلوعي
إنْ طافَ بالفكرِ بلبلت الفكـ
ـرَ فيا دارُ أنتِ سِرُّ وَلوعي
إنها الأهلُ والأحبةُ والصَّحْـ
ـبُ ومَسرى تلفتّي و نزوحي
هاجتِ النفسُ فاستفاضت أنينًا
وتراءت في واكفاتِ الدموعِ

وفي المحبة شفاء عند الشاعر أنور فهي طبُّه و طبيبه يقول :

المَحبَّةُ شِفَاءٌ

علمتني أنَّ المَحبّةَ طِبٌّ
وسبيلٌ إلى الشفاءِ ودربُ
يتداوى بها الأُولى نَشَدوا البِرَّ
ءَ وأشتاقهم من العيش كَربُ
أنبلُ الحبِ ظاهرًا وخفيًا
أنَّ يموتَ المُحبُّ فيمنْ يُحبُّ
يا لنفسٍ ترعى على النفسِ نفسًا
يا لقلبٍ يحييه في البُعدِ قلبُ

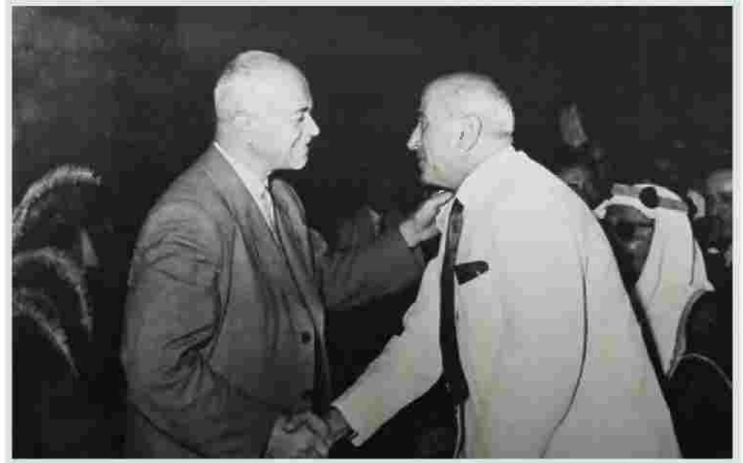

صورة للشاعر أنور العطار (يمين) يصافح الشاعر إلياس فرحات، ويظهر في يمين الصورة أمير الكويت الشيخ مبارك الصباح في ستينيات القرن الماضي بدمشق

زَهْرُ الْخَرِيفْ

مصطفى أحمد أخرس
ادلب - سوريا

أَوَّاهُ مِنْ زَهْرِ الْخَرِيفْ !
أَنَّى لِقَلْبٍ مُدْنَفٍ
يَنْسَى
بِأَنَّ الْخَافِقَ الْوَلْهَانَ
ذَاقَ الْمُرَّ مِنْ حَرِّ الْمَصِيفْ

وَ بِأَنَّ تِلْكَ الْمُهْجَةَ الْوَلْهَى
بَكَتْ أَلَمًا
وَ قَدْ أَوْدَى بِهَا
سِحْرُ الْعُيُونِ الذَّابِلَاتِ
بِمُقْلَةِ الظَّبْيِ الظَّرِيفْ

وَ بِأَنَّ آهَاتِ الْفُؤَادِ
يَؤُزُّهَا
هَمَسَاتُ ذَاكَ الْوَجْدِ
مِنْ رَعْشِ اللَّمَى
يَا لِلَّمَى
مِنْ ثَغْرِ ذَيَّاكَ اللَّطِيفْ
هَمْسٌ يَهُبُّ عَلَى الضَّعِيفْ
سِحْرٌ وَ مَنْفَثُهُ وَجِيفْ
وَ الْقَلْبُ يَنْفُثُ أَنَّةً
كَتَنَفُّسِ الْوَاهِي النَّحِيفْ
وَ رُؤًى تَطُوفُ
يَحُفُّهَا تَحْنَانُهَا
يَا لِلْحَفِيفْ

هِيَ مَا أُعَانِي
مَبْعَثُ الآهَاتِ
مِنْ حُبِّي الْأَلِيفْ
بَلِ الْعَفِيفْ
بَلِ الشَّرِيفْ

يَا لَوْعَةَ الْكَبِدِ الْمُلَوَّعِ
وَ الْهَوَى حُرٌّ نَظِيفْ
يَا لَوْعَتِي
وَ الْحُبُّ لِلْمُشْتَاقِ
مَنْزِلَةُ الرَّغِيفْ
يَا لَوْعَتَاهُ
وَ إِنَّنِي
فِي كَوْكَبِ الشَّرْعِ الْحَنِيفْ

يَا لَوْعَتِي
لَوْ رَفَّ هُدْبُ اللَّحْظِ
يَطْلُبُ نَسْمَةً
فَلَعَلَّهَا
نَجْوَى رَفِيفْ
أَوْ أَنْ أَظَلَّ عَلَى الرَّصِيفْ
مُنَاجِيًا
أَمَلَ الرِّضَا
فِي عَتْمَةِ الدَّرْبِ الْمُجَلَّلِ بِالضَّنَى
بَيْنَ الْهَوَى وَالنَّفْسِ وَ الشَّيْطَانِ
فِي قَاعِ الدُّنَى
أَمَلٌ طَرِيفْ
زَهْرُ الْخَرِيفْ